ما يضرم في صدرك نار التمرد ويشعل فيه نار الرغبة بالعمل بل نور العمل والاصلاح ، ولقد كان رهين المحبسين المعري أسوأ الناس حظاً وأشدّهم بؤساً وأرقهم شعوراً ومع ذلك فانا لنتمي ألمه الشخصي حينما نسمع في شعره رنة الالم القومي بل الانساني ، ولقد انتقد المعري المظالم والمفاسد السياسية والدينية في عصره وصاح بالمرائين صيحات مصعقات وما فقد بعد ذلك النظر الاعلى ولا تعامى عن الحقيقة الكبرى في الجمال الصافي حيث يقول :

اذا ما فعلت الخير فاجعله صافياً
لربك وازج عن مديحك السنا
فكونك في هذي الحياة مصيبة
يعزيك عنها أن تبر وتحسنا

هو ذا الألم القومي بل الألم الانساني الذي يتمثل في الشاعر الكبير فيرفعه الى أوج المعرفة والتصوير ويسلحه بالجرأة زينة الحق ، اذن فالشاعر الكبير يتألم بالألم القومي ولكن ماذا يهيج فيه الألم ؟ وهنا يثبت الريحاني أن الدموع هي مظهر من مظاهر الضعف لا من مظاهر القوّة وأنها تبدو على الضعفاء لا على الاقوياء فينصح الينا بتجفيف مستنقعات الدموع وسلالاتها ، إذ يجب على الشاعر المتألم أن يظهر قوياً في ألمه لا ضعيفاً بدمعه وأن يبعث الحياة والقوة في نفوس مواطنيه لا أن يبكي ويدعوهم للاستسلام والبكاء ، ان الدموع تسكن القوى والالم يثيرها ، والشعراء الكبار مثل ابي العلاء ودي موسي قاسوا من آلام الحياة أشدها وأنواعها لما كان في زمانهم من جهل وظلم ولكنهم لم يبكوا ولم يذرفوا الدموع الغالية بل كانوا ثائرين متمردين .

عبد المجيد حجي

بين الدين والالحاد

لا يعزب عن الناقد الخبير ، ان من الامراض الاجتماعية التي تكونت مع نشوء المدنية الحديثة الالحاد أو اللادين وضف الى ذلك الآلات الميكانيكية التي امتاز بها هذا العصر على غيره من العصور والتي نشاهدها في سائر مظاهره وبالرغم عن نفعها الجزيل ـ كانت مع داء الالحاد ـ من الاسباب المباشرة لفقد الانسان مشاعره واحساساته الروحية التي تمنحه السعادة والاطمئنان فصار كآلة مستخدمة لأصحاب رءوس الاموال المستبدّين ، وهذه من المشاكل الاجتماعيه العويصة التي لم تحل بعد ، ومن الاسباب الجوهرية التي زادها تعقيداً مظاهر المادة المتجلية في سائر مناحي حياة اوربا ، فالنفوس مجردة من الايمان الفطري الذي يفسح ارجاء الحياة ويملأها قوة وآمالا ولطفاً وتسامحاً والعالم المتمدن دائماً في اضطراب وقلق وتشاؤم ، محفرف بالمتاعب والاخطار ، والعقول ضجرة قانطة ، لا ترى أمامها الا حياة ضيقة الدائرة ، وليس للتعاليم الدينية تأثير على النفوس البتة ، وانما تلك مظاهر تنمحي من الذاكرة في حينها والعلة في ذلك أن المدنية لم تختمر اثناء تكونها بروح الدين الفطري الضروري الشعوب ، كضرورة الاحساسات التي يصدر عنها ، اذ هو خالد للمجتمع البشري مغذي الشعور الكامن ومضعف من حدة الانفعالات الطبيعية التي تصدر من اعماق النفوس ليعد بذلك التوازن في الحياة الاجتماعية بين عناصر المادة وعناصر الاحساسات الروحية وهذا مفقود لدى الشعوب الاوربية عموماً في حين أن المدنية الاسلامية استمرت قروناً وهي في اتزان تكافح في ميادين الرقي والحضارة والعمران ، وما ذاك الا بفضل ما زودها الدين الاسلامي من الايمان القوي الذي امتزج مع خلايا العروق والافئدة فأكسبها قناعة واقداماً ونشاطا ، ويشهد لذلك تاريخنا المجيد .

بيد أن المكون لفكرة الالحاد أفراد يزعمون أن ليس هناك مدبر ولا مصير لهذه الاكوان وانما الطبيعة خلقت نفسها بنفسها بدون احتياج لأحد وما دون هذا الا خرافات وأوهام فعجباً لقوم خدعتهم مداركهم بهذا التفكير العقيم مع ظنهم أنه خلاصة البحث العلمي المجرد ، اذ لو أنهم القوا نظرة اجمالية على ما حولهم من الفضاء الواسع اللانهائي لوجدوا أنه ما من حركة من حركاته الا

ولها نظام متين، فنشاهد الجوهر الفرد — وهو أقصى شيء يرى بالمنظار — الى أعظم كوكب في الفضاء الا وله قانون لا يتجاوزه، سنة الله في الكون ولن تجد لسنة الله تبديلا، فالعالم آيات في الابداع والتناسق والتناسب يستحيل أن يكون نفسه بنفسه والا لوقعت فيه فوضى وفسد واضمحل واندثر ولم يتمش بنواميس ثابتة واذا ما خدعتهم نواميس المدنية الحديثة واختراعاتها وظنوا أنها يوماً ما تكشف عن حقائق ما وراء الطبيعة مباشرة قياساً على ما استنبطت من بديع الاختراعات التي سهلت للانسان كل مطالبه الحيوية فان هذه ليست في مقدوراتهم ما دام التقدم الذي وقع لا يتناول الا ما هو حائط بنا وندركه بحواسنا بمقتضى ما تكيفه لنا ولا يتعدى عالمنا الارضي، حيث أن الله خلق الانسان ليفكر ويعمل في حيز من الوجود تحوطه عناصر لا يستطيع تخطيها، فاذا علموا أنه لا يمكن للانسان ان يتطلع الى ما وراء نطاقه أو يبحث عن عوالج لم يكن من ذراتها ولم يبعثه الله في وسطها، وغاية ما منحه دفع تلك الحواجز الحائطة به ليتسع قليلاً حيز التفكير والعمل ويساير نظام النشوء والتطور ثم أهله بحواس خاصة وعقل نسبي ليتفهم بهما ما هو حائط بظروفه من الكائنات، نعم اذا علموا هذا تيقنوا أنه لا يستطيع البشر أن يكشف عن أسرار السماء ما دام لم يهب عقلا عاماً ولا حواس اخرى ليدرك بهما ما هو محجوب عنه بدليل أن البعض حاول أن يقوم برحلة الى بعض الكواكب المجاورة لنا فتعرقلت اعمالهم وتحطمت مساعيهم، لعدم وجود مؤهلات طبيعية تسهل طرق البحث، واذا ما اكتشفت عناصر لتتغلب على العناصر القوية التي تحول دون البحث في الفضاء فان هذه المحاولة لم تأت بالنتيجة التي تتطلب منها، وليس مفهوم هذا أنه لا يمكن الوصول الى بعض الكواكب القريبة بل ربما يجدون مواداً تتغلب على الحواجز توصلهم الى كوكب من الكواكب وانما الحقيقة الواضحة أنه لا يمكن الانسان أن يكتشف اسرار السماء، وان اكتشفت بعض الكواكب فلا يزيد المؤمن بذلك الا اطمئنانا.

وعلاوة على ما تقدم، فان الدين قد امتد من أول التاريخ الى الآن، ولا زال سائداً في الوجود بالرغم على عبور الانسانية خطوات واسعة في الرقي لم تتقدم في العصور السالفة، فكل هذه المعارف التي ثقفت الانسان واكسبته خبرة واسعة لم تؤثر على الدين أثناء التخبط في مضمار التقلبات الفجائية كما كان يتوقع الملاحدة، بل هو العامل الوحيد الذي قامت على اسسه المدنية الاسلامية، وباقتباس عناصر الدين الاسلامي تكونت المدنية الاوربية خلافاً لبعض المستشرقين الذين ينكرون هذا ويودون بذلك التضليل والمغالطة، ولدينا أدلة كثيرة منها الاختلاط الذي وقع بين الاندلسيين بما جاورهم من قارة اوربا، وبما كان من تأثير الغرب بالثقافة الاسلامية في عهد الحروب الصليبية وغير ذلك من العوامل التي جعلت الغرب يرتشف من عناصر المدنية الاسلامية العذبة.

هذا وقد خامر بعض الشرقيين الاقتداء بما وقع أثر نهوض الغرب من الثورات على الدين، مثل ما وقع في فرنسا وروسيا وغيرهما فجنوا على قومهم جنايات فظيعة ونكلوا بالرهبان والقسيسين وهدموا الكنائس والاديرة، فاعتقد دعاة الاصلاح ان بتقليدهم هذا ينهض الشرق ويمنح الحرية والخروج عن الاستعباد، فقد ضلوا سواء السبيل ولو تعمقوا في اصول المسألة وفحصوا الموضوع لتجلت لهم الحقيقة عكس ما تخيلوا.

وصفوة البحث أن الانقلابات التي وقعت في اوربا كانت متسببة عن الخمول الذي كان سائداً في حياتها ولم تقو على مسايرة النهوض الاسلامي قروناً عديدة وحين تأثرت بالمدنية الاسلامية وحاول المصلحون النهوض بها وجدوا قوانين الديانة المسيحية التي تسير حياتهم خالية من روح الحياة والنهوض، دالة على التقشف والرهبانية والزهد وآمرة بطرح سائر اعمال الدنيا من مدنية وسياسة وجميع منافع المجتمع ليتأهل الانسان بقلب منكسر ينتظر الجنة، وهذا ضمن الكتاب المقدس، والحق أن شريعتهم نزلت بهذا لدى فسادهم وانهماكهم في الشهوات والملذات ليحصل التوازن وقد حصل برهة ثم رجعت الفوضى والاباحية، واذا فهمنا هذا سهل علينا ان نعذر زعماء الثورات الذين تبذوا القديم ملتمسين عناصر الحياة من الملة الاسلامية، ليقوموا بها مجدهم في تلك العصور المظلمة، ولذلك فلا نفتقر الى الاقتداء بهم ما داموا قد اقتدوا بنا من قبل.

على أن الملاحدة في اوربا قد خفت صوتهم قليلا في السنوات الاخيرة وتغيرت مناهج بحوثهم وضعفت حدتهم واحجموا عن بث سمومهم في المجتمع، اذ علموا أن أفكارهم لا توافق الحياة الطبيعية، وحيث كان الشرق عبارة عن صدى ما يقع في الغرب بمقتضى التأثر بثقافته، والاحتكاك بآرائه ومذهبه، فقد انقلبت آراء مفكريه رأساً على عقب فتراجعوا الى القديم وتفقدوا تراثهم بتنميته وتكييفه، في صور توافق الاساليب الحديثة فوجدوا فيه الارتياح والاطمئنان، والانتاج والنفع العميم الذي ستقوم على اسسه الحضارة الاسلامية في المستقبل لتكون وليدة بيئتها ووسطها وعقليتها الخاصة، مطبوعة بطابع يميزها عن غيرها من الحضارات..

« يتبع »

أحمد بن احسان

★ مجلة المغرب ★

MAJALLAT EL MAGHRIB

Rédaction et Administration
Immeuble Mathias
Rue Jules-Poivre — RABAT

Publicité :
Agence de Casablanca : 137, Avenue Mers Sultan

الادارة والتحرير
ملك ماتياس — نهج جول بوافر — بالرباط
الاعلانات: فرع الدار البيضاء ١٣٧ شارع مرس سلطان تلفون 03,70

Prix de l'Abonnement pour l'année :

Maroc, Algérie, Tunisie, Syrie :	60 frs
France et Colonies :	100 -
Etranger :	120 -

الاشتراك عن سنة
المغرب - الجزائر - تونس - سوريا ٦٠ فرنكا
فرنسا ومستعمراتها ١٠٠
الممالك الاجنبية ١٢٠

الى اصحاب الاطومبيلات بالمغرب

SF 15

الدستر بورات التي عليها هذه العلامة لا تعطي سوى

الاسانس من الدرجة الاولى

Société Française de Distribution des Pétroles au Maroc

الشركة الفرنسوية

وهي شركة لا اسمية راس مالها 7.000.000 فرنكا

Casablanca — 23, rue Nolly

الدار البيضاء — 23 نهج نولى

Imp. Nouvelle - Rue de la Mamounia - RABAT - Le Gérant : ROUPERT ZNEDER

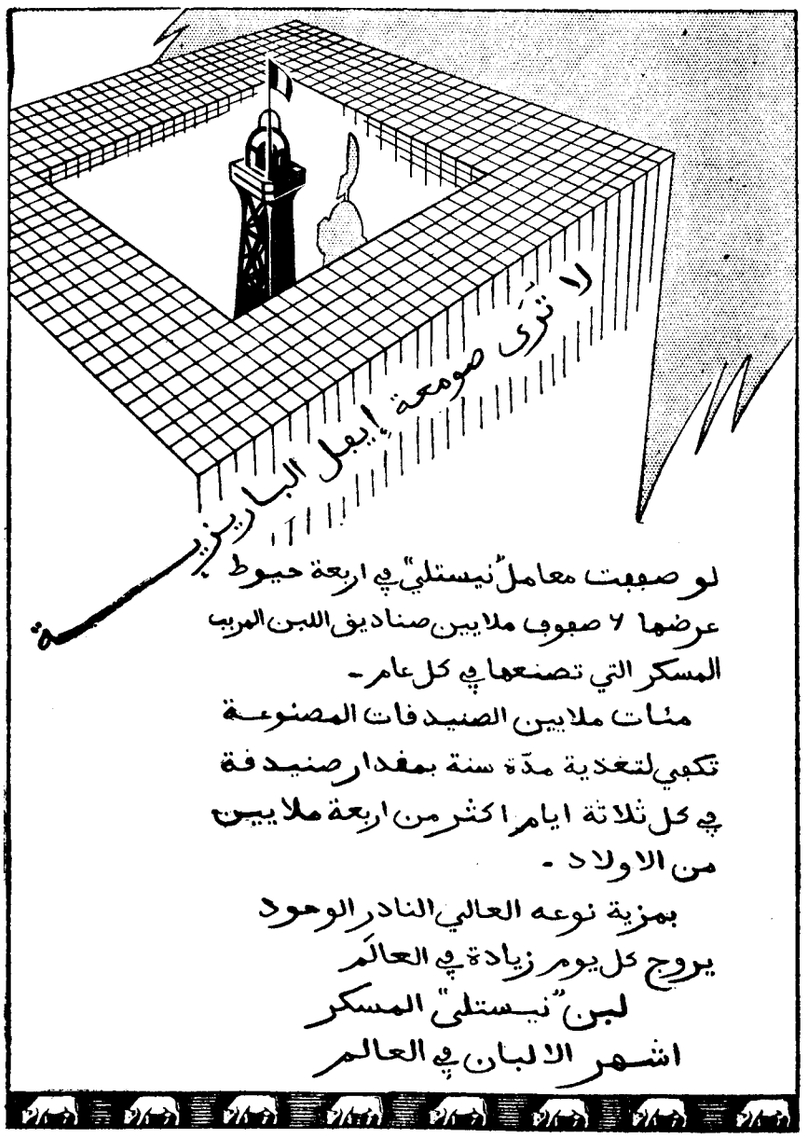

مشترات ورسائل باللغة العربية في (تربية الاطفال الصحية) تعطى مجاناً في

- دار نيسلي -

بملتقى نهجي فيدرين وكولي - بالدار البيضاء